

أطوار الثورة العربية

## المفاوضات بين العرب والحلفاء

للأستاذ نسيب سعيد

قلت لك في حديثي الماضي أن الحالة بلغت أشدها من التوتر والحلفاء بين العرب والترك ، مما يندب بشر مستطير ، بل بثورة عربية كبرى ، وغضبة مضرية جبارة ... وأقول لك اليوم إن البريطانيين ما كانوا غافلين عن كل ذلك ، وعما هنالك أيضاً من نضال داخلي ، ومشادة سرية بين « الحسين » و « الاتحاديين » ذاع خبرها واشتهر أمرها

وكان اللورد « كتشتر » معتمد بريطانيا العظمى في مصر قبيل الحرب الماضية ، ووزير حريتها في إنباها ، أول سياسي بريطاني عمل للتقرب بين العرب والحلفاء ، وخاصة بين « آل الحسين » والانجليز ، وسمى لإنشاء صلات ودية منهم وذين حكومته ، أملا في اجتذابهم واكتسابهم بعد ما اكتسب الألمان الترك في أواخر شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩١٤ وصل إلى مكة تاجر مصري من حي الجمالية اسمه علي أفندي أصفر يحمل إلى الشريف عبد الله (أمير شرق الأردن اليوم) من المستر « ستورس » السكرتير الشرقي لدار الحماية كتابا خاصا عن الصداقة العربية - البريطانية ، فلم يطلع الأمير عبد الله والده « الحسين » على الكتاب بل أكرم الضيف المصري وصرفه بسلام . غير أن الرسول عاد بعد أسبوعين يحمل كتابا آخر من المستر « ستورس » نفسه كله ود وصداقة وإخلاص ، فأطلع الأمير حينئذ والده على الكتابين ، وبحثا في الأمر مليا

وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٤ عاد السيد علي المصري إلى الحجاز يحمل كتابا ثالثا من المستر « ستورس » كان السبب في ابتداء المفاوضات والمكاتبات بين العرب والحلفاء بصورة عامة ، وبين الحسين والانجليز بصورة خاصة

وفي شهر أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩١٥ عقد « مؤتمر الطائف » بين الحسين وأنجاله ، وفيه قرروا إعلان الثورة العربية بالاتفاق مع البريطانيين على أساس استقلال العرب وتحريرهم ووحدتهم . ومما قرروه في هذا المؤتمر أيضاً أن يعود الأمير فيصل (ملك العراق بعد ذلك رحمه الله) إلى الشام فيتصل برجال العرب فيها ، وكانوا يفكرون في أن تبدأ الثورة هنا في ديار الشام فيدرس التدابير ويضع الخطط لتكون عامة تشمل الحجاز والشام والعراق ، وأن يسافر الأمير على إلى المدينة ويقيم فيها تحت ستار قيادة المتطوعين ، فيتفق مع شيوخ القبائل وينظم أمرهم استعداداً ليوم الثورة ، وأن يتولى الأمير عبد الله تنظيم قبائل الطائف والقبائل المجاورة لككة ، ويعد معدات العمل ، وأن يشترك كذلك مع والده في المكاتبات والمفاوضات التي تدور مع البريطانيين . ولما رجعوا من الطائف انصرف كل منهم إلى إتمام ما اختص به من المهمات

وبينا كانت المفاوضات والمكاتبات السرية تدور بين دار الحماية البريطانية بمصر وشريف مكة بالحجاز ، كان المستر (ستورس) يتصل بأقطاب حزب اللامركزية العربي في القاهرة ، ويباحثهم في « القضية العربية » ، ويدعوهم إلى زيارته في قصر الدوابة ويسألهم عن خططهم وبرامجهم فيما لو دخلت تركيا الحرب ، وماذا يكون موقفهم لو عمل الحلفاء على استقلال بلاد العرب ، وهل يستطيع أبناء العروبة مؤازرتهم والنهوض بأعباء استقلالهم ، فأجابوه :

« إن العرب يتمنون استقلال وطنهم وإعادة غابر مجدهم وعزهم إذا كان لا بد من انهيار دولة الترك . وهم على استعداد تام لتأييد كل سائحة وبارقة ترمي إلى استقلال العربي مهما كان شأنها ... »

ولقد دارت مكاتبات سرية يومئذ بين الشريف حسين باسم العرب ، والسرد هنري مكماهون نائب جلالة الملك بمصر باسم بريطانيا العظمى لأجل إعلان الثورة أدت إلى الاتفاق على البنود الخمسة التالية التي تمت الموافقة عليها في الشهر الأول من عام ١٩١٦ وهي :

يقول فيه : « قد تلقينا زعيمكم المؤرخ في ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ عن يد رسولكم الأمين . وسررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوون اتخاذها وترونها موافقة للأحوال الحاضرة . إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تجيزها . ويسرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك وافقت على جميع مطالبكم ، وإن كل شيء رغبت بالإسراع فيه وفي إرساله هو مرسل مع رسولكم حامل هذا . وستحضر الأشياء الباقية بكل مرعة ممكنة . فتبقى في بورسودان تحت أمركم إلى حين ابتداء الحركة وإعلامنا رسمياً بها . وقد انتهت إلينا إشاعات مؤداها أن أعداءنا باذلون الجهد في أعمال السفن ليثبتوا بواسطتها الأنعام في البحر الأحمر ، لإلحاق الضرر بمصالحنا هناك . فترجوكم أن تسرعوا بإخبارنا إذا تحقق ذلك لديكم »

ومرت أربعة أشهر على هذا الاتفاق العربي - البريطاني قبل أن يطلق الشريف حسين بندقية من قصر الأمانة بمكة . وكان الحجاز كما قلنا يعاني من شدة الحرب وأهوالها أكثر من سواء من الأقطار العربية . فسدت أبواب البحر ، وانقطع الحجيج ، ونفذ القليل مما كان في البلاد من زاد ، فضجت الناس ، وهلك مئات من الجوع ، وقد قال « الحسين » إنه ظل هو وأهل منزله سنتين يأكلون الدخن

مرت الأربعة أشهر وكان قد أصبح الأمير فيصل في مأمن من الأعداء ، ولديه فوق ذلك من الملمح وسلاحهم ما لا يستهان به . وكانت الذخائر والسلاح والمال بدأت ترد عن طريق ( بورسودان ) من المصدر الذي أشار إليه المندوب السامي البريطاني في كتابه فتوكل الشريف حسين على الله ، ونهض في صباح اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ ٢ يونيو ( حزيران ) عام ١٩١٦ قبل الفجر ويده بندقية أطلقتها طلقة واحدة كان لدويها صدى في جدة والطائف والمدينة ، بل في سائر أنحاء العالم العربي فأعلنت الثورة في مكة وجدة في اليوم الأول ، وفي الطائف والمدينة في اليوم الثاني ، وكان مالدني العرب من القوات العسكرية موزعة متأهبة كلها ، لحاصر الأمير زيد بجندوه قلعة « اجياد » بمكة وهجم الأمير عبد الله على الطائف ، وكان الشريف محسن قائداً في جدة ، والأميران علي وفيصل ، وقد خرجا من المدينة بجثمان العربان ليحاصرا الترك فيها

أولاً : تتمهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخلها وخارجيتها ، حدودها شرقاً : خليج فارس ، وغرباً : بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الأبيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ومجتمعه مع الدجلة إلى مصبهما في خليج فارس ماعدا مستعمرة عدن فإنها خارجة عن هذه الحدود . وتتمهد هذه الحكومة برعاية الماهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل محلها في رعاية وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع أربابها أسراء كانوا أو من الأفراد

ثانياً : تتمهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي تدخل كان وبأي صورة كانت في داخلها ، وبسلامة حدودها البرية والبحرية من كل تعدد كان أياً كان الشكل ، حتى ولو وقعت فتنة داخلية من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء ، تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع تلك الفتنة ، وهذه المساعدة في الفتن والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي إلى حين تم للحكومة العربية تنظيماتها المادية

ثالثاً : تكون ولاية البصرة تحت مشاركة بريطانيا العظمى إلى أن تم للحكومة الجديدة المذكورة تنظيماتها المادية . ويمين من جانب بريطانيا العظمى في مقابل تلك المشاركة مبلغ من المال يراعى فيه حالة الحكومة العربية

رابعاً : تتمهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاج إليه ربيتها الحكومة العربية من الأسلحة والذخائر والمال مدة الحرب خامساً : تتمهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو من نقطة مناسبة في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن بلاد ليست مستعدة لها »

وظل الشريف حسين حتى بعد هذا الاتفاق الذي تم في شهر يناير ( كانون الثاني ) من سنة ١٩١٦ بعد ويسوف البريطانيين ، وبعد العدة سراً للعمل الخفي ، ويتأهب للوثوب ... وكان قد كتب إلى المندوب السامي في مصر كتاباً يملأه بذلك فأجابه السر ( أرثور مكماهون ) في كتاب مؤرخ في ١٠ مارس ( آذار ) عام ١٩١٦ ( ٦ جادى الأولى سنة ١٣٣٤ )